عدد ٢٨ السنة الثانية

المنار

١٣١٥

مصر في يوم السبت ١٧ جمادى الاولى سنة ١٣١٧ الموافق ٢٣ سبتمبر سنة ١٨٩٩

﴿ ماذا نعمل ﴾

كثر الخوض في هذه الايام . في شؤون المسلمين والاسلام . فكتب في الجرائد الكاتبون . وخطب في محافل الجمعيات الخاطبون . أما الجرائد فقد غلب على كل منها ماينا سب وجهتها ويوافق مشارب ذويها . والمنار لم يختلف رأيه في هذه الاثناء ـ أثناء خوض الجرائد في مباحث الجامعة الاسلامية ـ عن رأيه الاول الذي قام يدعو اليه منذ أنشئ وهو انه لا يعود للاسلام مجده ويرجع الى أهله عزهم الا بتعميم التعليم الصحيح والتربية العملية على ما يرشد اليه هدي الدين الذي كان عليه السلف الصالح وان هذين الامرين يتوقفان على أمور كثيرة منها ازالة البدع والرجوع الى كتب الائمة الاولين في اللغة والدين . والاخذ بكتب أهل هذا العصر في العلوم الدنيوية . وقد بيّنا في السنة الماضية ان الاصلاح المطلوب لابد لتعميمه من وجود جمعية اسلامية عامة يكون مقرها في مكة المكرمة ولها شعب في سائر البلاد الاسلامية وبينا وظيفة هذه الجمعية وأعمالها ـ مبادئها وغايتها . وقلنا ان الرجاء فيها ضعيف الآن ولكن لابد ان توجد متى استعدت الامة لايجادها

وزالت الموانع التي تحول دونه. ومن الاسف ان هـذا الفكر قد لعب في الاذهان فتلاعبت به الخيالات حتى أبرزته في صورة غريبة فطفق الكتاب يطلبون انشاء مؤتمر اسلامي في الاستانة العلية وزعموا ان مجد الاسلام وحياته تناط بهذا المؤتمر . ولا يقول هذا القول الا من انفصل عن عالم الوجود فلم يعلم مايجوز فيه وما لايجوز وزجّ بنفسه في عالم خيالي يجوّز المحال . ويصور نيل مالا ينال. ولا حاجة للاستدلال على ان انشاء المؤتمر في الاستانة لايكون ولئن كان فانه يضر ولا ينفع . وانما نقول شيئاً واحداً وهو ان سيدنا ومولانا السلطان الاعظم لا يرضى بانشاء هذا المؤتمر في عاصمته تحت رآسته ومما يصح ان يستدل به على هذا عدم دعوة جرائد الاستانة اليه واستحسانها له مع علمها بما كتبت الجرائد الاخرى فيه . وأسأل حضرة الكاتب الذي مافتئ ينوّه به ويشيد . ويبدئ القول ويعيد . ان يكتب مقالة في المسئلة لاحدى جرائد الاستانة المعتبرة ليعلم مايكون من شأنها فيها

وأما الجمعيات فالمشهور منها في مصر ثنتان جمعية (شمس الاسلام) وجمعية (مكارم الاخلاق) وهناك جمعيات أخرى تقتضي حالها عدم التنويه بها . فأما جمعية شمس الاسلام فقد ابتدأت بالتربية الصحيحة والتعليم القويم فضمت اليها المدرسة التحضيرية التي أسسها أحد أعضائها كما ذكرنا هذا من قبل وعهدت الى كاتب هذه السطور بقراءة درس ديني عام للاعضاء (انظر باب التربية والتعليم) وأما جمعية مكارم الاخلاق فلم تزل وعظية محضة يحشر اليها الناس في كل ليلة جمعة يسمعون الخطب التي تشرح لهم مجد الاسلام الغابر وهوان أهله الحاضر وتزجرهم عما فشا فيهم من الفواحش والمنكرات. وتحثهم على عمل البر والمحافظة على الصلوات . لايقال ان هـذه

الامور . معلومة للجمهور . فالكلام فيها لا يفيد غير التحبيذ لذي الفصاحة . والتأفف من صاحب المي والفهاهه . فان الذكرى تنفع المؤمنين . وللخطابة شأن في نفوس السامعين . نعم لا مندوحة لمن يتكلم في ادواء الاسلام . عن شرح العلاج الحقيقي العام . وقول أولئك الخطباء . عليكم بالاتحاد والاخاء . واعتصموا بالوفاق والوئام . واحذروا من التنازع والخصام . وما أشبه هذه الاقوال . التي يلوكها كل قوّال . — هي كلمات مجمله . وفي نظر الجمهور كالمهمله . لانها لا ترشد الى عمل معروف . ولا تهدي الى الوقاية من مصارع الحتوف . ذكرت في المنار الذي قبل هذا انني خطبت القوم في تلك الجمعية خطبة في التربية وما حملني على اجابة دعوة الداعي الى الخطابة الا ان أحد الخطباء تكلم عن فساد الامة وأطنب في شرح حال الفحش وتهتك النساء في الشرق بعد انتشار الغربيين في بلاده ثم قال وأما علاج هذا البلاء ودواء هذه الادواء (فكلكم تعرفونه) والصواب انهم انما يعرفون الداء الذي شرحه لانهم هم المتلبسون به كما قال ولو عرفوا الدواء لعرفوا ان فيه سعادتهم ومن عرف معرفة صحيحة ان في شيء ما سعادة له فان ارادته تبعثه للعمل به طبعا كما بيناه في مقالة (تأثير العلم في العمل) وقد أحببت ان اكتب ملخص مابقي في ذهني من تلك الخطبة اجابة لطلب من استحسنها وهو

أيها الاخوان — تكلم الخطباء الافاضل في أمراضنا الروحية . وأدوائنا الاجتماعية . فلم يدعوا مقالا لقائل . ولا مجالا لجائل . مثلوا الداء للانظار حتى كاد يحس . وصوّروه حتى تخيلت انه يلمس . فبقي علينا ان نتكلم في العلاج . ونشرع له أقرب منهاج . (أشرع الطريق بيّنه) وليس من قصدي الخطابة وانما احب ان أقول كلمات ثلاث . أبين بها ماذا يجب علينا ان نعمله لارجاع

مجدنا . أثار هذه الكلمات في نفسي قول الخطيب الثاني (كلكم تعرفون الدواء) وربما يكون قالها لتوجيه نفوسكم للبحث في هذه المسئلة المهمة أو لعدم ايقاعكم في وهدة اليأس ولا اخاله يعتقد ان علاج الامم يأخذه الكافة من أمم (قرب) . يصاب احدنا بوجع في اصبعه أو يخرج دمل في عضو من أعضائه فيحار هو والناس في معالجته . فماذا عسى ان يقال في معالجة أمة عظيمة يزيد عديدها عن الثلاثمائة مليون وقد مرّ عليها ثلاثة عشر قرنا ونيف وتبوأت كل ارض وتكلمت بلغات كثيرة وحكمت من أمم ودول متعددة وطرأ عليها من البدع والاهواء مالم يطرأ على سواها . فهل يقال ان ارجاع مجدها اليها يعرفه كل احد ؟ كلا ان علاج مثل هذه الامة امر كبير لا يعرفه الا الحكماء والراسخون في العلم وقليل ماهم . كتبنا وكتب الكاتبون وقلنا وقال آخرون . والبحث لم يزل في أوله والجماهير لم تزل تتخبط في دياجير الحيرة وتهيم في اودية المشكلات . يقال لكم عليكم بالاخاء عليكم بالاتحاد وما اشبه هاتا . وهذا كلام اجمالي يخرج كل سامع له غير عالم بما يطلب منه وما يجب ان يأخذ به . ولهذا احببت ان أختصر القول بثلاث كلمات ليعيها الواعون ويعمل بها الموفقون . وهن بيان مّا لما اجمله الخطباء والكتاب في قولهم اننا لا يرجع الينا مجدنا الا بالدين . الكلمة الاولى كيف نربي انفسنا تربية دينية صحيحة والثانية كيف نربي نساءنا والثالثة كيف نربي اولادنا فهذه هي الفرق التي تتألف منها الامة

تربية الكبير امر عسير جداً لان مناشيء العمل من العقائد والاخلاق والصفات تكون راسخة فيه بالعمل يصعب اقتلاعها وانتزاعها وبيان هذا ان الانسان اذا عمل عملا يحدث لعمله أثر مخصوص في مركز مخصوص من

دماغه وكلما اعاد العمل يقوى الأثر حتى يصير المركز العصبي هو الذي ينبّـه لذلك العمل ويزعج الاعضاء لفعله كلما جاء وقته او عرض سببه فيندفع الانسان لفعله بلا رويّة ولا تكلف وهذا هو الذي يسمى الخلق والملكة. ثبت هذا التدقيق في الفلسفة الجديدة ويشير اليه الناس بقولهم العادة طبيعة خامسة. الاعمال هي التي تطبع الملكات والاخلاق في النفوس. والاعمال التي يندفع اليهـا المرء بطبيعتـه من غير تكلف انما تنبعث عن الملكات والاعتقادات الراسخة الممتزجة بالنفس وهي التي عليها مدار السعادة والشقاء. لولا ان الانسان خلق قادراً على التكلف بالعمل على خـلاف مايقتضيه خلقه وعادته لكانت تربية الكبير متعذرة ولاستحال ان يصلح من خلل. او يرجع عن زلل. ولكن العاقل اذا ثبت عنده شرعاً أو عقـلا ان شيئاً مما اعتاده وتخلق به مضر له في دينه أو دنيـاه يمكنه ان يتكلف ترك العمل الذي ينشأ من تلك العادة أو الخلق ويتكلف العمل بضدها واذا واظب على هـذا التكلف زمنا طويلا يضعف الخلق الاول وينشأ له خلق جديد. لاأنكر انه لايقدر على هذا العمل كل انسان. لايقدر عليه الأرباب الفطرة الزاكية والهمة العالية والعزيمة الصادقة. ولا بد من الاستعانة عليه بأمرين أحدهما كثرة المذاكرة في قبح القبيح الذي يريد تركه وحسن الحسن الذي يحاول استبداله به. وثانيهما ان يجعل بعض اصدقائه مهيمنا ورقيبا عليه ويأذن له بان يذكره اذا نسي ويؤنبه ويعنفه اذا اخل بما التزمه من ترك الرذيلة والتلبس بالفضيلة. من يرضى منا ان يوصف بضعف الاستعداد الفطري للخير؟ من يرضى ان يرمى بوهن العزيمة؟ من يرضى ان يغمز بقلة الهمة؟ لايرضى احد منا بهذه المثالب. فعلى كل منا ان يجعل مرمى نظره

وقبلة عزيمته تهذيب نفسه وتزكيتها والحاقها بنفوس الكملة . ان صح منك الهوى ارشدت للحيل . متى شرعنا في العمل يفتح في وجهنا باب العلم بنفوسنا ومصالحها فكلما اصلحنا شيئاً يلوح لنا غيره فنشتغل باصلاحه وهذا هو معنى الحديث الشريف (من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم . يجب ان يبدأ كل منا بالرجوع عن كبائر ذنوبه وبمعالجة اسوء اخلاقه . وهذه العظائم لاتخفى على احد منا . الحلال بيّن والحرام بين . وانما يجهل الكثير من الناس الشبهات . ولا يتقي الشبهات الا من اتقى الفواحش والمنكرات . (لهابقية)

باب التربية والتعليم

قرر مجلس ادارة جمعية شمس الاسلام باتفاق الآراء انتداب هذا العاجز منشيء المنار لالقاء دروس دينية في الاجتماع العمومي الاسبوعي للجمعية فتلقيت أمر المجلس بالامتثال بل أديت فرضاً عليّ لامتي وملتي وكان القاء الدرس الاول في ليلة الاثنين الماضية . وبعد الفراغ منه اقترح عليّ وكيل الرئيس ان انشر ملخص هذه الدروس في المنار ليكون تذكرة للاخوان وليتنفع به من لم يحضره لاسيما شعب الجمعية في خارج القاهرة . ورأيت الحاضرين ارتاحوا لهذا الاقتراح فتلقيته بالقبول وهاؤم اقرؤا ملخص الدرس الاول

﴿ الدرس الاول ـ تمهيد ومقدمات ﴾

ابتدأت بالبسملة والحمدلة والتصلية والدعاء ثم قلت

(١) الدين ـ لم يبق سمع لم يطرقه الكلام . في الشكوى من حال الاسلام . وان علاج مانحن فيه من البلاء المبين هو الاخذ بتعاليم الدين . مقتفين آثار اسلافنا الاولين . فما هو الدين ؟ عرّف الدين علماؤنا بانه وضع الهي